مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 12/ العدد: 04 (2024)، ص: 07-23

الأسطول البحري ودوره في ارساء معالم الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني 1518-1830.

: محمد محمدي، أستاذ محاضر ب، قسم التاريخ، جامعة عمار ثليجي الأغواط

Mo.mhamdi@lagh-univ.dz[1]

تاريخ الاستلام: 2024/10/23 تاريخ القبول: 2024/11/24 تاريخ النشر: 2024/12/18

ملخص:

تحاول هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، تسليط الضوء البحثي على أحد المعالم الرئيسية للدولة الجزائرية خلال العهد العثماني 1518-1830، سيما بعد انضمام الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية التي حملت على عاتقها الذود عن حياض المسلمين مشرقا ومغربا، بعد أن تكالبت القوى المسيحية تترصد الدويلات الاسلامية المتصارعة على الحدود ومقاليد الحكم، ممثلة في التحرشات الاسبانية المسيحية التي تمكنت من القضاء على آخر معاقل المسلمين بالأندلس "سقوط غرناطة 1492م"، وملاحقة المورسكيين الفارين من شبه الجزيرة الايبيرية الى السواحل الجنوبية لحوض البحر المتوسط، ضمن ما

[1]

اصـــطلح عليه خلال المرحلة بحروب الاســـترداد، وعلى هذا الأســـاس تحاول الدراسة تسليط الضوء على أحد المؤسسات الرسمية للدولة الجزائرية خلال العهد العثماني، وذلك من زاوية الأدوار الهامة التي نهض بها من حماية لهيبة الدولة في حوض المتوســـط ونصـــرة للمورسكيين، إذ تسلط الدراسة الضوء على أدواره ومهامه الرئيسية خلال مرحلة هامة من عمر الدولة الجزائرية، لتبيان أهمية هذا الأسطول في رسم معالم الدولة خلال الفترة المذكورة وإرساء أسسها.

الكلمات المفتاحية:

الأسطول البحري؛ الجزائر، العهد العثماني، البحر المتوسط.

Abstract:

This modest historical study attempts to shed research light on one of the main landmarks of the Algerian state during the Ottoman era 1518-1830, especially after Algeria joined the Ottoman Empire, which took upon itself the task of defending the Muslim territories in the East and the West, after the Christian forces conspired to stalk the conflicting Islamic states over the borders and the reins of government, represented by the Spanish Christian harassment that managed to eliminate the last Muslim strongholds in Andalusia "the fall of Granada 1492 AD", and the pursuit of the Moriscos fleeing from the Iberian Peninsula to the southern coasts of the Mediterranean basin, within what was known during the period as the Reconquista Wars. On this basis, the study attempts to shed light on one of the official institutions of the Algerian state during the Ottoman era, from the perspective of the important roles it played in protecting the prestige of the state in the Mediterranean basin and supporting the Moriscos, as the

study sheds light on its main roles and tasks during an important stage in the life of the Algerian state, to demonstrate the importance of this fleet in shaping the features of the state during the mentioned period and establishing its foundations.

Keywords:

Navy, Algeria, Ottoman era, Mediterranean.

مقدمة:

حظيت الجزائر خلال المرحلة الحديثة باهتمام كبير من لدن الدارسين والباحثين الجزائريين والأجانب على حد سواء، بالنظر للأهمية الاستراتيجية والسياسية والعسكرية التي لعبتها الجزائر كدولة قوية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومن دون شك أن هذه المكانة التي اكتسبتها بين دول ضفتي المتوسط ترجع الى دوافع وعوامل كثيرة منها انضمامها تحت لواء الدولة العثمانية بعد تنامي وتزايد التحرشات المسيحية الاسبانية على السواحل المغاربية مطلع القرن 16م (1518م)، واستنجاد أهالي الجزائر بالسلطان العثماني طلبا للحماية والمساعدة.

ونظرا للأحداث المتسارعة في منطقة المتوسط؛ فقد باتت الجزائر قوة مهابة الجانب في حوض البحر الأبيض المتوسط لاسيما بفضل أسطولها البحري الذي لعب دورا رئيسيا في فرض هيبة وهيمنة الدولة بين الدول المغاربية والأوربية خلال الفترة

الحديثة من عمرها، لكن هذه القوة سرعان ما شهدت مرحلة من الفراغ والتراجع نتيجة لعوامل داخلية وخارجية، ساهمت بشكل واضح في تراجع الدور الريادي الذي لعبته الجزائر طيلة سنوات طويلة من القرنين 16 و17م.

وعلى هذا الأساس سنحاول في هذه الدراسة المتواضعة تقديم قراءة نقدية تفصيلية، تتعرض أهم الظروف والعوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت من قريب أو بعيد في قوة ومكانة الأسطول البحري الجزائري في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال فترة الحكم العثماني للجزائر من 1518م الى غاية 1830م.

وذلك من خلال طرح اشكالية الدراسة التي تدور حول: ما هي ظروف وعوامل قوة وما هي أهم أدوار هذا الأسطول خلال العهد العثماني؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قمنا بتقسيم الموضوع الى مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي كالآتي:

1-ما هي ظروف انضمام الجزائر للدولة العثمانية؟

2-ما هي جهود الاسطول الجزائري في رسم معالم الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني؟ وما هي أهم أدواره خلال الفترة المذكورة؟

1- ظروف انضمام الجزائر للدولة العثمانية:

لا يكاد يختلف اثنان بأن التحرشات المسيحية الاسبانية على السواحل المغاربية عامة وسواحل المغرب الأوسط بصفة خاصة مع

مطلع القرن 16م[2]، كانت المرحلة المكملة لفصول الحرب المسيحية التي خاضتها الدول الصليبية المسيحية ضد العقيدة الإسلامية في مناطق كثيرة من العالم، وعلى هذا الأساس فقد تزعمت اسبانيا المسيحية الحرب الدينية العقائدية ضد العالم الاسلامي عامة وبلاد المغرب الإسلامي بصفة خاصة، سيما بعد تمكنها من القضاء على آخر مملكة للمسلمين بالأندلس (غرناطة) في عام 1492م[3]، بعد علاقة المصاهرة التي شهدتها الممالك المسيحية عام 1469م بين ملك أراغون **"فرديناند الخامس"** و**"إيزابيلا"** أخت ملك قشتالة **"هانريكي"** الذي توفي في 1474م لترث الملك من بعده.[4]

وقد تمت ملاحقة المسلمين الأندلسيين بعد فرارهم نحو بلاد المغرب والتنكيل بهم في حوض المتوسط، بعد الترويج لفكرة الخطر الاسلامي الأندلسي المحدق بالبلاد المسيحية والأوربية على حد سواء، وامكانية هؤلاء –أي المسلمين الأندلسيين-من إعادة بناء قوتهم في بلاد المغرب العربي والعودة من جديد الى اسبانيا المسيحية بهدف استرجاع ملكهم الضائع، حيث استطاعوا خلال مدة الثلاثين سنة من احتلال كثير من

---

[2]- الطاهر بخدة: دور الأتراك العثمانيين في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة، ع11-12، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران، الجزائر، خريف –شتاء 2013-2014، ص 196.

[3]- عبد الوهاب شلالي: الخطر الاسباني الصليبي على الدولة الجزائرية ودور العثمانيين في التصدي له، ع12، **مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية**، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، د.ت، ص12.

[4]- عبد الحميد بن أشنهو: **دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر**، مطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، د.ت، ص 13.

مواقع ومدن الساحل الجزائري من سنة 1505 الى غاية 1535[5]، وقد كان الحرص شديدا على ملاحقة المسلمين الأندلسيين والقضاء عليهم بصفة نهائية[6]، مع السيطرة على المناطق التي آوتهم ووفرة لهم الحماية والأمان في إطار حرب دينية وعقائدية عرفت بحرب **الإسترداد** أو حرب **الروكنيكستا**Reconquista.[7]

وفي ظل هذه المستجدات السياسية والعسكرية التي شهدتها منطقة البحر الأبيض المتوسط، ظهر الاخوة بربروس كقوة موازية في البحر الأبيض المتوسط مما جعل أعيان الجزائر وبجاية يهرعون للاستغاثة بالوافدين الجدد لتخليصهم من الخطر الاسباني ومساعدتهم في طرد الكفار المسيحيين من أرضهم[8]، وفي هذا الصدد فقد أثبتت الروايات التاريخية هذا الطلب المقدم من أعيان الجزائر للإخوة بربروس، إذ تواترت وتناقلت الوثائق ما مفاده طلبا للمساعدة من خلال رسالة استغاثة وطلب مساعدة أرسلت من طرف أعيان بجاية الى الاخوة

---

[5]- نبيل تشيش، عبد الكامل عطية: الجزائريون من التحالف مع الاخوة بربروس لطرد الصليبين الى تشكل نظام سياسي جديد مطلع القرن 16م، ع02، م 13، **مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية**، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2022، ص 292.

[6]- عبد الوهاب شلالي: **المرجع السابق**، ص12.

[7]- محمد محمدي: جرائم محاكم التفتيش المسيحية بعد سقوط غرناطة عاصمة المسلمين بالأندلس 1492، ع02، م02، **مجلة إنسانيات معاصرة للبحوث والدراسات في العلوم الانسانية**، الجزائر، سبتمبر 2023، ص34.

[8]- سالم جوامع: الاخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط مطلع القرن 16-قراءة جديدة في النشأة والمنجزات-، ع03، م03، **المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات**، الجزائر، جوان 2020، ص 137.

بربروس، وفي مايلي مقتطف مما جاء فيها ونجد: **"...إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال...فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم، جعلكم الله سبيلا لخلاصنا، فتفضلوا بتشريف بلدنا، وعجلوا بتخليصها من هؤلاء الكفار..."**.[9]

وبناء على ما تقدم ذكره، فقد عرفنا الأوضاع الداخلية والخارجية التي ساهمت في انضمام الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية، والتي كان العامل الرئيسي فيها هو تلك التحرشات المسيحية الاسبانية على موانئ وسواحل المغرب الأوسط، نتيجة لملاحقة المسلمين الفارين من جحيم محاكم التفتيش المسيحية وتجاوزات الجنود البحرية الاسبانية ضد هؤلاء المسلمين الأندلسيين (المورسكيين)، وفي ظل ذلك ظهر الإخوة بربروس كقوة بحرية هامة في شرق المتوسط فكان الاستنجاد بهم من أعيان وعلماء الجزائر أمرا لا مفر منه في ظل السيطرة المسيحية على كثير من مدن وموانئ المغرب الأوسط شرقه وغربه، سيما بعد إقرار السلطان العثماني سليم الأول خير الدين بربروس حاكما على الجزائر بعد طلب من أعيانها عام 1519. كما أرسل له ما يزيد عن 2000 جندي مسلحين بالبنادق وعددا من رجال المدفعية مع مدفعيتهم وعددا من المتطوعين[10]، ومنذ هذا التاريخ أضحت الجزائر قوة سياسية وعسكرية مهابة الجانب في حوض

---

[9]- نفسه، ص138.

[10]- صالح فركوس: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال –المراحل الكبرى**-، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص105.

المتوسط، وبخاصة بفضل أسطولها البحري الذي كانت له أدوار هامة على ضفتي المتوسط.[11]

2-اسهامات الاسطول الجزائري في ارساء معالم الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني:

أ- في المجال الأمني والعسكري:

منذ إقرار السلطان العثماني سليم الأول خير الدين بربروس حاكما على الجزائر في سنة 1519م، وانضمام الجزائر بصفة رسمية تحت لواء الدولة العثمانية فقد تغيرت العديد من المعطيات الداخلية والخارجية بالنسبة للإيالة الجزائرية، التي أصبحت تتميز بملامح القوة والهيبة السياسية والعسكرية والدبلوماسية، ومن ملامح ومعالم الدولة الجزائرية خلال الفترة المدروسة نجد القوة البحرية أو الأسطول البحري، هذا الأخير الذي كان له دور هام في فرض هيبة الجزائر داخليا وخارجياً من خلال الجهود الجبارة التي بذلها البحارة الجزائريون في حوض المتوسط.

كما عمل خير الدين بربروس على النهوض بالأسطول الجزائري وتطويره بما يتلائم مع حجم الأخطار الخارجية التي تستهدف الجزائر وسواحلها من قبل الأعداء المسيحيين وخاصة الغارات الاسبانية التي تستهدف

---

[11]- صالح كليل: **خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة باتنة، الجزائر، 2007/2006، ص 106.

موانئ الجزائر وسـواحلها[12]، فدأب هذا الأخير على بناء حصـن بحري دائري قطره حوالي 60 مترا، و يحتوي هـذا الأخير على أربعـة طوابق تتخلله فوهات لرمي نيران المدفعية، وكذا خزان لحفظ الماء ومخزن للبارود، كما جعل في وسـطه برجا للمراقبة يدعى "برج الفنار"، وقد عمل خلفاء خير الدين بربروس كذلك على مواصلة المسيرة من بعده في الاعتناء بهذا الأسـطول وتطويره، فهذا صـالح رايس باشـا مثلاً كانت له جهود جبارة في النهوض بالأسـطول البحري وتحديثه.[13]كما توالت جهود كل من حسن باشا الذي وصل عدد وحدات الأسطول على عهده الى أربعين قطعـة بحريـة، أمـا على عهـد علج علي فتـذكر الروايـات المتواترة أن عدد وحداته قد بلغ ما يزيد عن سـتين قطعة بحرية[14]، سـاهمت أغلبها الى جانب الدولة العثمانية في "معركة ليبانتو" الشـهيرة ضد الدول المسيحية سنة 1571م. أو ما عرف "بالحلف المقدس" في 25 ماي من عام 1571.[15]

---

[12]- نعيمة بوحمشـوش: دور البحرية الجزائرية في الصـراع العثماني – الاسـباني بالبحر الأبيض المتوسـط خلال القرن 16، ع01، م 15، **مجلة دراسـات في العلوم الانسـانية والاجتماعية**، جامعة الجزائر، الجزائر، جوان 2015، ص 119.

[13]- نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص120.

[14]- حليم سرحان: **تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين من خلال المصـادر التاريخية والأثرية 1514-1830**، رسـالة ماجسـتير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2007، ص 119.

[15]- عبد القادر فكاير: دور الأسـطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م، ع01، م 06، **مجلة المواقف**، الجزائر، ديسمبر 2011، ص 417.

ب-إغاثة المورسكيين:

وإضافة الى المعارك والمجابهات العسكرية التي خاضها الاسطول الجزائري في مواجهته للقوى المسيحية الصليبية، فقد كانت للأسطول جهودا جبارة في مجالات أخرى مختلفة منها إمداد مسلمي الأندلس بالمساعدات العسكرية والمادية لمجابهة الجيوش الاسبانية، وهو ما تجسد عمليا في جهود عديد حكام الإيالة الجزائرية دعما للمورسكيين، فهذا علج علي يقوم بإنزال أربعة آلاف مجاهد جزائري وكميات كبيرة من البارود والذخيرة على السواحل الغربية لجزيرة شبه الجزيرة الايبيرية بالأندلس.[16]

هذه الأعمال الجهادية التي نهضت بها الجزائر نصرة وإغاثة للمسلمين الفارين من بطش محاكم التفتيش المسيحية الاسبانية، حاولت الكثير من الكتابات الأجنبية تصديرها في ثوب أعمال القرصنة واللصوصية، فهذا المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" يذكر على سبيل المثال أن القراصنة المسلمين قد خرجوا الى البحر وهاجموا سواحل مواطنهم السابقة ونهبوا الصيادين الاسبان والتجار الصغار، ويضيف المؤرخ الأمريكي الأصل "جون. ب. وولف" ما يؤيد هذا التحامل العنصري ضد المسلمين الفارين من بطش محاكم التفتيش المسيحية بقوله لقد كان هؤلاء المطرودون يعدون من أكثر أعداء

---

[16]-نصيرة سحابات: دور الأسطول الجزائري في إنقاذ مسلمي الأندلس 1529-1609، ع 20، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الوادي، الجزائر، د.ت، ص –ص 558-559.

إسبانيا ضراوة.[17] هذا الأخير الذي يعتبر رد فعل طبيعي إزاء التجاوزات والجرائم اللاإنسانية التي ارتكبها المسيحيون ضد المورسكيين في الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بها سنة 1492م.

ج-في المجال الاقتصادي:

واضافة الى الأدوار العسكرية والأمنية التي نهض بها الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني، فقد كان لهذا الأخير دور بارزا في المجال الاقتصادي للإيالة، حيث مثلت الموارد والغنائم البحرية الجزء الأكبر من مداخيل خزينة الدولة، حيث كانت الجزائر تحصل مبالغ مالية وهدايا عينية قيمة من الدول الأوربية مقابل سلامتها وضمان حريتها في حوض المتوسط[18]، ضف الى ذلك الاموال التي كانت تحصل من عملية إفتداء الأسرى الأوربيين الذين يقعون أسرى لدى المجاهدين الجزائريين في حوض المتوسط، إذ كانت دولهم في كثير من الأحيان تلجأ الى دفع أموال باهضة حتى تسترجع حريتهم، لاسيما إن كانت لهؤلاء مكانة سياسية أو اجتماعية في بلدانهم، وحول ذلك ذكر "ويليام شالر" ما يلي: **"...إن الأتراك كانوا يعتمدون على القرصنة لتكون المورد**

---

[17]- صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومه، الجزائر، 2012، ص 21.

[18]- أمير يوسف: الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، ع01، **مجلة قضايا تاريخية**، المدرسة العليا للأساتذة-الجزائر، الجزائر، 2016، ص60.

الأساسي لحكومتهم...وساعد على ذلك ضعف الدول المسيحية البحرية الاوربية... ".[19]

ومما سبق نستنتج ان الاسطول البحري الجزائري خلال مرحلة الحكم العثماني، كانت له أدوار هامة في مجالات مختلفة من المجالات التي يقوم عليها أساس كل دولة، فقد كان لهذا الأخير دور عسكري تمثل في صد الهجمات والتحرشات الاسبانية المسيحية وتحرير عديد المدن الساحلية الجزائرية من براثن الاحتلال الاسباني، كما تمكن المجاهدون الجزائريون من تحرير أعداد كبيرة من المورسكيين الفارين من جحيم محاكم التفتيش المسيحية الاسبانية بعد سقوط غرناطة عاصمة الأندلس سنة 1492، فضلا عن دوره الكبير في تحصيل الموارد المالية والغنائم البحرية والاقتصادية للإيالة الجزائرية.

خاتمة:

ومما سبق نستنج أن أشكال مشاركة الأسطول الجزائري في بناء وإرساء معالم الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني، لقد تعددت وتباينت في صور وأشكال مختلفة، لاسيما خلال الفترات الأولى من الحكم العثماني بالجزائر، وعليه ندرك ذلك الدور الكبير الذي نهض به الاسطول البحري الجزائري في حوض البحر الابيض المتوسط من خلال تجليات وأدوار هذا

---

[19]- وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824**، تر. تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 58. ينظر كذلك؛ أمير يوسف: **المرجع السابق**، ص61.

الأســـطول ومن ذلك نجد: المجال الأمني والعســـكري، مجال الاغاثة والدعم للمورســـكيين الفارين من الأندلس، وكذا في المجال الاقتصادي.

قائمة الملاحق:

-نماذج من وحدات الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني



سفينة الطراد (مرجع سابق: حليم سرحان)



سفينة الشونة (مرجع سابق: حليم سرحان)



سفينة الشباك (مرجع سابق: حليم سرحان)



خريطة توضح مناطق تهجير المورسكيين والمناطق المهجرين إليها في المغرب الإسلامي

(مرجع سابق: زهيرة سحابات)